مع الرأسمالية الصهيونية لشراء بعض املاك اللبناني الياس سرسق الذي رفع اسعار اراضيه للمتاجرة بها « والان يطلب السيد سرسق ٢٥ فرنكا للدونم الواحد ، بينما تقول تقاريرنا انه لا يساوي اكثر من ١٥ ــ ١٨ فرنكا » ٠ (٣٧) وقد استطاعت الحركة الصهيونية بأساليبها الملتوية شراء هذه الاراضي وغيرها في سهل مرج ابن عامر من عائلة سرسق ، الامر الذي ادى الى اثارة وسخط الفلاحين الفلسطينيين لان معنى ذلك طردهم من الاراضي التي كانوا يعملون بها ٠ وكان عام ١٩٠٣ يشهد تسللا يهوديا الى فلسطين ، وقد ساعد في ذلك الخلل والرشوة في الادارة العثمانية ، وقد اتسمت هذه الموجة من الهجرة بتدفق الطبقات المتوسطة اليهودية من روسيا وبولندا ورومانيا ٠ (٣٨)

وفي اوائل عام ١٩٠٤ يتجه هرتزل نحو البابوية ويقابل في روما وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال ميري دي فال الذي اكد له ان الاراضي المقدسة يجب ان لا تكون بأيدي اليهود ٠ فيتجه في ٢٣ كانون الثاني (يناير) من نفس العام لمقابلة ملك ايطاليا الذي ابدى عطفه على المشروع الصهيوني ٠ وصرح انه لا يميز بين اليهود والايطاليين وقال لهرتزل : « فلسطين ستكون لكم ويجب ان تكون ٠ المسألة فقط تحتاج الى وقت ٠ انتظروا حتى يصبح عددكم هناك نصف مليون » ٠ فأبدى هرتزل تذمره من الموقف العثماني وقال : « ان اليهود ممنوعون من الدخول يا سيدي ٠ » فرد الملك : « كل شيء يمكن ان يكون بالبخشيش » ٠ (٣٩)

والجدير بالذكر ان هرتزل طلب من الدوائر الرسمية الايطالية التوسط لدى الباب العالي على ان يراسل الملك الايطالي نفسه السلطان العثماني للتوصية باستعمار فلسطين ولكن السلطان عبد الحميد الثاني ظل على موقفه المعارض للحركة الصهيونية ، وقد افهم السلطان وسطاء هرتزل بتبليغه رفضه تحقيق مشروعه في فلسطين وقال :

« انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع ٠ اني لا استطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الارض ، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي ٠ لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الارض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود ببلاييينهم ٠ اذا مزقت امبراطوريتي فعلهم يستطيعون آنذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن ، ولكن يجب ان يبدأ ذلك التمزيق اولا في جثثنا ، واني لا استطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة » ٠

ومن الاهمية بمكان ان هذا الاعلان العثماني اثر تأثيرا مباشرا على المنظمة